الفصل التاسع

العدوان الإسرائيلى على العرب بهدف توسيع حدود الدولة العبرية :

- حرب ١٩٥٦
- حرب ١٩٦٧
- حرب تحرير سيناء (أكتوبر ١٩٧٣)

حرب ١٩٥٦

سنكتفى هنا بالقدر الذى يبين الدوافع التى بعثت هذه الحرب الاعتدائية على مصر، ومانتج عنها خاصة مطامع إسرائيل التوسعية وممارستها اللاإنسانية فى قطاع غزة وازدياد عدد اللاجئين.

إن قناة السويس ملك مصر، تجرى فيها مياه مصر من البحر الأحمر إلى البحر المتوسط وهى شريان حياة اقتصادية لخير العالم أجمع تمخر فيها السفن غدواً ورواحاً وفق مصلحة البلاد والاتفاق الدولى، ومن حق مصر أن تتصرف بها تصرف المالك فى ملكه فتدفع أى ضرر يلحق بمصر، وتعين على أى خير يعم مصر والعالم. وكان للدولتين بريطانيا وفرنسا أسهم فى استثمار عائدات القناة حصلت عليها فى ظروف، لم تكن لمصر يد فيها وتهيأت الظروف الملائمة لكى تحتضن مصر فيها قناتها كلها وتتصرف بها تصرف الملك فى ملكه؛ فقررت تأميم القناة فتميزت الدولتان غيظاً من هذا التصرف المحق، وبان للدولتين الخطر الذى يهدد مركزهما فى الشرق الأوسط فصممتا على إعادة سيطرتهما على القناة، ووجدت إسرائيل فرصة فتحالفت مع الدولتين ولبست مخلب القط بغية تحقيق مطامعها التوسعية فى ظل القوتين بريطانيا وفرنسا وانتظاراً لما تكسبه فى هذه الحرب من حرية الملاحة فى القناة وخليج العقبة، وهكذا شنت الدولتان مع إسرائيل حرباً شعواء استخدمت فيها الدولتان أساطيلهما البحرية والجوية على القناة، وهجمت إسرائيل على شبه جزيرة سيناء فاستولت على قطاع غزة ومارست فى هذا القطاع أثناء احتلاله فعائل الإرهاب، شأنها فى ذلك شأن مافعلت فى قرية دير ياسين فى القتل الجماعى والقسوة فى هدم المنازل على أهلها وتشريد السكان فهرب كثير من أهل القطاع إلى مصر والأردن تاركين أموالهم وبيوتهم وحقولهم فازداد عدد اللاجئين الذين خلفتهم حركات ١٩٤٨ والذين سيأتى البحث عنهم، واستمر اليهود فى ممارسة هذه القسوة حتى بعد فشل خطة الدولتين وانسحابهما وإجبار إسرائيل على الانسحاب فى مارس

١٩٥٧ إلى ما وراء حدود الهدنة، وألفت هيئة الأمم المتحدة فى هذه المرة قوة الطوارىء الدولية فى شبه جزيرة سيناء.

ولم تكسب إسرائيل حرية الملاحة فى القناة، واستمر التوتر فى المنطقة وتطورت حركة الفدائيين الفلسطينيين إلى ظهور منظمة التحرير الفلسطينية، التى استطاعت تكوين وحدات لجيش التحرير الفلسطينى

حرب ١٩٦٧

استمر التوتر فى المنطقة بعد انتهاء حرب ١٩٥٦، ودأبت إسرائيل على تقوية جيشها وامتلاك الأسلحة وغمرت العالم بالدعاية تبريراً لعنادها فى التخلى عن المناطق المحتلة ووقوفها المتعنت فى إعادة اللاجئين إلى وطنهم أو التعويض عما فقدوه، رغماً عن أنها تعرف فى داخل نفسها أن العرب مؤمنون بأن فلسطين جزء مهم من الوطن العربى، وأنهم لن يتخلوا عنه وأن وضع اللاجئين بهذه الحالة مأساة اجتماعية إنسانية لاتقبل بها أية أمة، وأن القرار ١٩٤ الذى أصدرته الأمم المتحدة يخيرهم فى العودة إلى وطنهم أو التعويض عما فقدوه. ومع ذلك كله تصلبت إسرائيل فى عنادها ولم تتخل عن السعى وراء تفوق التسلح، والطواف فى العالم للتضليل وتزييف الحقائق لكسب التأييد.

ومن جهة أخرى دأبت غارات طائراتها على طول الحدود بحجة الانتقام من هجمات الفدائيين على المناطق التى فيها اليهود ففى يوليو ١٩٦٦ فاجأت مدفعيتها وطائراتها مشروع بانياس المائى وألحقت به أضراراً بالغة، وفى أكتوبر من العام نفسه، هجمت طائراتها على قرية السموع بحجة وجود فدائيين فيها، وقد أدان مجلس الأمن إسرائيل بذلك ثم تصاعدت هجماتها الجوية عام ١٩٦٧ تصاعداً ملموساً ففى ٣ أبريل ١٩٦٧ ملأت طائرات اليهود الأجواء السورية وحدثت معركة جوية عنيفة خسرت فيها سوريا عدداً من طائرات الميج وأشيع فى العواصم العربية أن إسرائيل تجمع قواتها على حدود سوريا، وأن هذه القوات تزيد عن اثنتى عشرة فرقة، فأعلنت الجمهورية العربية المتحدة حالة الطوارىء وطلبت من الأمين العام لجمعية الأمم المتحدة سحب قوات الطوارىء الدولية، ثم تقدمت قواتها فى سيناء محافظة لحقوق سوريا وحل قضية اللاجئين وجواباً على تجمعات القوات اليهودية على حدود سوريا وتوسطت روسيا وأمريكا لعدم وقوع حرب، فأجابت الجمهورية العربية المتحدة رغبة هذا التوسط، وحتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل فى يوم ٥ يونيو ١٩٦٧، كانت

الجمهورية العربية المتحدة تتحلى بضبط النفس، وتعد أنها لن تكون البادئة واستغلت إسرائيل الفرصة وبخطة مرسومة خاطفة استطاعت أن تدمر معظم قوة الطيران للجمهورية العربية المتحدة فى أوكارها وزحفت جيوش إسرائيل على سيناء ووقعت معارك ضارية رغماً عن عدم وجود غطاء جوى لجيوش العربية المتحدة، فاستطاعت إسرائيل أن تستولى على قطاع غزة وشرم الشيخ ومضيق تيران، ووصلت ساحل القناة الشرقى، واستولت على مرتفعات الجولان فى سوريا، كما استولت على الضفة الغربية من شرق الأردن وفيها القسم العربى من مدينة القدس، ورغم إعلان وقف إطلاق النار والهدنة من قبل مجلس الأمن فإن تحركات الجيش الإسرائيلى استمرت وتقدم فى أماكن متعددة لم تكن فى متناولهم، ولم يسمحوا لمراقبى جمعية الأمم الدخول إلى تلك المناطق، وفى القدس العربية اتخذت إسرائيل إجراءات مخالفة للقانون الدولى، فإنه لم تمض ثلاثة أسابيع على وقف القتال حتى أصدرت قانوناً يدمج القدس العربية مع القطاع الإسرائيلى بإدارة واحدة، فاحتجت الحكومة الأردنية واعتبرت هذه الإجراءات مخالفة للقانون الدولى الذى عبر عنه ميثاق لاهاى ١٩٠٧، الذى ينص على أن تلتزم سلطات الاحتلال بالحفاظ على التركيب القانونى والإدارى القائم فى المناطق المحتلة، وأيدت الجمعية العامة للأمم المتحدة رأى الأردن فى قرارين متواليين صدرا فى ٤، ١٤ يوليو ١٩٦٧، نص كل منهما على عدم مشروعية أى تغيير للوضع القانونى للمدينة. ولكن إسرائيل لم تلتفت إلى القرارين فأخذت تجرى تغييرات ملموسة فهدمت الجدران والمنازل على طول خط الهدنة، ووسعت الشوارع التى تخترق الخط، وهدمت ١٣٥ منزلاً تقع فى حى المغاربة المقابل للسور الغربى، وأخلى السكان عن المنازل وتم هدم مصنع البلاستيك وأدمجت موظفى المدينة الذين هم دون الرتب العليا فى المكاتب اليهودية، وتحولت مدرسة إسلامية للبنات إلى مقر للمحكمة الحاخامية العليا، وتحول مستشفى إلى مركز للشرطة الإسرائيلية. ونزعت ملكية ٨٣٨ دونماً من الأراضى بحجة أنها من الأراضى الأميرية سابقاً(١).

واتخذت إجراءات اقتصادية كاملة لربط اقتصادية القسم العربى بالقطاع اليهودى، وحلت إسرائيل المجلس البلدى وتسريح محافظ المدينة من منصبه.

وفى خريف عام ١٩٦٧ اجتمع مجلس الأمن وبعد مداولات واختلاف فى الرأى وتشاور بين الصهيونيين والأمريكيين والبريطانيين، تبنت بريطانيا وضع صيغة قرار مجلس الأمن الذى أقر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ على النحو التالى :

(١) الدونم يساوى ١٠٠٠ متر مربع.

قرار مجلس الأمن(١)

إن مجلس الأمن

إذ يعرب عن قلقه المتواصل بشأن الوضع الخطر فى الشرق الأوسط، وإذ يؤكد عدم القبول بالاستيلاء على أرض بواسطة الحرب، والحاجة إلى العمل من أجل سلام عادل ودائم تستطيع كل دولة فى المنطقة أن تعيش فيه بأمن، وإذ يؤكد أن جميع الدول الأعضاء بقبولها ميثاق الأمم المتحدة قد التزمت بالعمل وفقاً للمادة الثانية من الميثاق.

(أولاً) : يؤكد أن تحقيق مبادىء الميثاق يتطلب إقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط ويستوجب تطبيق المبدأين الاثنين.

(أ) سحب القوات المسلحة الإسرائيلية من أراض (النص الأفرنسى يقول من الأراضى) احتلت فى النزاع الأخير.

(ب) إنهاء جميع إدعاءات الحرب أو حالاتها، واحترام السيادة والوحدة لأراضى كل دولة فى المنطقة والاعتراف بذلك وكذلك استقلالها السياسى، وحقها فى العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها وحرة من التهديد أو أعمال القوة.

(ثانياً) يؤكد أيضاً الحاجة إلى :

(أ) ضمان حرية الملاحة فى الممرات الدولية فى المنطقة .

(ب) تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

(ج) ضمان المناعة الإقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة، عن طريق إجراءات بينها إقامة مناطق مجردة من السلاح .

(ثالثاً) يطلب من الأمين العام تعيين ممثل خاص للذهاب إلى الشرق الأوسط؛ كى يقيم ويجرى اتصالات مع الدول المعنية بغية إيجاد اتفاق ومساعدة الجهود لتحقيق تسوية سلمية مقبولة، وفقاً للنصوص والمبادئ الواردة فى مشروع هذا القرار.

(١) راجع أزمة الشرق الأوسط منذ حرب حزيران (يونيو) حتى قرار ٢٢ تشرين الثانى.

(رابعاً) يطلب من الأمين العام أن يرفع تقريراً إلى مجلس الأمن حول تقدم جهود الممثل الخاص فى أقرب وقت ممكن .

فى قرار مجلس الأمن ثلاث موضوعات بارزة، وهى الفقرة الأولى من القرار، وضعت كما صرح بذلك مندوب بريطانيا عندما قدم مشروع قراره فى اليوم السادس عشر من شهر تشرين الثانى، بحيث ترجع هذه الفقرة إلى الفصل السادس من ميثاق جمعية الأمم المتحدة ومواد الفصل لاتلزم الفرقاء المعنيين، بل تشترط لتنفيذه قبول الطرفين المعنيين، والموضوع الثانى موضوع الانسحاب الذى ينصب على الانسحاب الكامل للقوات الإسرائيلية من أراض احتلت فى النزاع الأخير، ويؤكد ماجاء فى الفقرة السابقة من القرار «إذ يؤكد عدم القبول بالاستيلاء على أرض بواسطة حرب» وبجمع الفقرتين أصبح الوضع ملزماً لإسرائيل بالانسحاب الكامل، أما موضوع التسوية العادلة للاجئين فقد أكد ماجاء فى قرار جمعية الأمم المتحدة ١٩٤ الذى تؤكده كل عام، والذى يقضى بتخيير اللاجئين فى العودة أو التعويض عما فقدوه.

ولتنفيذ القرار عين الأمين العام لجمعية الأمم المتحدة المبعوث الرسمى المستر «يارنج» فشرع بالاتصال مع الفرقاء المعنيين والتشاور معهم فى شأن تنفيذ القرار، حتى تراكمت أوراقه وكثرت تقارير مشاوراته التى سببها عناد إسرائيل، واستمرت إسرائيل فى اعتداءاتها تخترق الحدود وتضرب يميناً وشمالاً دون تفريق فى الأماكن الآهلة بالسكان أو الجبهات العسكرية، ودخلت طائراتها فى أعماق البلاد السورية والأردنية والمصرية تضرب القرى والمدن والمدارس والمعامل.

ولم ترتدع فى استمرارها لضرب العربية المتحدة إلا بعد أن رأت طائراتها الفانتوم تتساقط على الحدود بالدفاع المصرى عند ذلك لجأت إلى حيلتها فى كل مرة، وهى طلب الهدنة ومع ذلك فإنها إذا أمنت سلامة طائراتها لاتتردد عن ضرب أية جهة آهلة بسكان عزل أو جبهات عسكرية كما لاتزال تفعل مع لبنان وسوريا. وفى الأرض المحتلة مارست القسوة والتدخل فى مناهج التربية والتعليم، وحرمت أبناء المنطقة من حقهم الطبيعى فى نيل المعرفة ووضعت العقبات دون إيجاد عامل عربى ماهر.

وفى عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧، أخذت تبنى المستعمرات اليهودية فى سيناء وفى المرتفعات السورية، وبدأت تنفيذ مشروع إسكانى ضخم فى القدس يهدف إلى تثبيت احتلالها للقدس العربية، ويؤدى هذا المشروع إلى بناء ألف مسكن قبل نهاية عام ١٩٧٥.

وتشبه الخطة رسم يد كف ضخمة تنتشر فى نصف دائرة كل أصبع فيها حى يهودى، ومنها منطقة تقع بين القدس وبيت لحم، قاربت على الانتهاء بمجموعة تكفى إلى ٩٠٠٠ أسرة يهودية، وفى غزة نسفت مساكن ١٥٨٥٥ لاجئاً فلسطينياً بحجة فتح طرق فى المدينة، ولم تفد احتجاجات الدول العربية وآخر ما أقرته جمعية الأمم المتحدة لإيقاف إسرائيل عن حدها أو التسجيل عليها بعدم مشروعية تصرفها أربعة قرارات، صدرت فى ديسمبر ١٩٧٢، أكدت الجمعية فى القرار الأول حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره واحترام ممارسته حقوقه الأساسية أمر لا غنى عنه لإقرار سلام عادل وثابت فى الشرق الأوسط. وأكد القرار الثانى على أن تتخذ إسرائيل فوراً الإجراءات اللازمة لإعادة نحو ١٠٠,٠٠٠ فلسطينى شردوا من أراضيهم التى احتلتها بعد حرب ١٩٦٧ وأن توقف على الفور الإجراءات التى تؤثر على التكوين الطبيعى والجغرافى والسكانى للأراضى المحتلة، وفى القرار الثالث أعربت الجمعية العامة عن أسفها لقيام السلطات الإسرائيلية بنسف مساكن ١٥٨٥٥ لاجئاً فلسطينياً فى قطاع غزة المحتل، وطالبت إسرائيل بتقديم مأوى مناسب لجميع هؤلاء الفلسطينيين.

والقرار الرابع صدر بإجماع ١٢٤ صوتاً وبالطبع امتنعت إسرائيل عن التصويت ويتضمن القرار نداءً إلى جميع الحكومات والمنظمات والأفراد بالإسهام بسخاء، والقيام بكل جهد ممكن للوفاء باحتياجات وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين، وهاجم ممثل إسرائيل فى المنظمة الدولية جميع هذه القرارات، ووصفها «بأنها مجرد طقوس سنوية من الافتراء لاتؤدى إلى شىء».

حرب أكتوبر ١٩٧٣

منذ هزيمة ١٩٦٧م، وحتى ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣م ـ ذاق العرب خلالها مرارة الهزيمة وتحمل عبء حرب نفسية قاسية شنتها ضده أعتى أجهزة الدعاية والإعلام، لتفقده الثقة فى نفسه، ولكن هيهات فإن الإنسان العربى مضى خلال هذه السنوات الصعبة يشق طريق نضاله، ويعيد بناء نفسه من جديد لمواجهة يوم الفصل الحاسم، وتمكن خلال هذه السنوات من الصمود ومن بناء قواته المسلحة بناءً جديداً سليماً وأعدها إعداداً قوياً، ولما أدرك حقيقة قوته، وتأكد من سلامة موقفه جدد ساعة عمله، وكانت هذه الساعة واقعة فى يوم السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣م، وحقيقة فإن اللحظات التى مر بها تاريخ الأمة العربية فى ذلك اليوم لتعد من أمجد لحظات تاريخها الطويل، فقد تمكنت القوات العربية فى هذا اليوم من تحطيم

أسطورة جيش إسرائيل الذى لايهزم وبسرعة تفوق الخيال، وتتعدى طاقة البشر، تمكن أبناء مصر العربية وسوريا العربية وإخوتهم رفقة السلاح من البلدان العربية الأخرى من إزالة العقبات والموانع الحصينة، التى ظل العدو طوال تلك السنوات السبع يشيدها ويفاخر بحصانتها، وعلى رأسها خط بارليف التى رسمت له الدعاية الصهيونية صورة أسطورية تفوق الوصف والخيال، وأثبتت العزيمة العربية من جانبها أنه هش، خاوى العروش، لايقدر على الصمود أمامها.

ويجب أن نذكر هنا أننا لسنا بصدد دراسة تفاصيل حرب أكتوبر، فقد كتبت فى هذه الحرب مئات الكتب تتناولها من جوانبها المختلفة مع اختلاف وجهات النظر، إلا أنها جميعاً اتفقت ـ المعادى منها والمؤيد ـ على حقيقة واحدة هى أن هذه الحرب أثبتت بما لايدع مجالاً للشك أو الريبة قدرة الإنسان العربى على القتال إذا هيئت له ظروف القتال المناسبة، وأن هذه الحرب كانت بعثاً جديداً للإنسان العربى، الذى تمنى من خلال عملياته الحربية المبتكرة أن يقلب موازين الاستراتيجية العسكرية العالمية، فأخذت مراكز البحث الاستراتيجى تدرس عملياته وتغير من نظرياتها.

وقد كانت هذه الحرب العربية الإنسانية العادلة شاملة فى جوانبها العسكرية والسياسية والاقتصادية؛ لأنها قامت من أجل الإنسان العربى، هدفها استخلاص حقوقه المشروعة، ومن هنا جاء دور هذه الحرب المجيدة فى حل قضية انسحاب إسرائيل من الأراضى العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ والحقوق الوطنية المشروعة لشعب فلسطين من وضعها المتجمد إلى مرحلة متحركة تشغل الرأى العام العالمى، بعد أن أدرك عدالة القضية العربية مما جعل العدو الإسرائيلى يعيد من جديد حساباته بعد الخسائر، التى منى بها فى الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية. وبقدر ماكانت هذه الحرب ضربة قاسية وجهت إلى القيادة الإسرائيلية المتغطرسة، فإنما كانت نصراً حاسماً للقيادة العربية الحكيمة الحازمة، وكما قدمنا عذرنا بأننا فى هذه المعالجة لانستطيع سرد التاريخ الكامل لحرب أكتوبر، وإنما نحيل القارىء إلى بعض الكتب التى صدرت عنها، فإننا هنا كذلك لانستطيع أن نضع صورة كاملة لنتائج هذه الحرب، وإنما نشير بصورة سريعة إلى بعض هذه النتائج، ونحيل القارىء إلى المصادر الخاصة بهذه الحرب، وسنوجز نتائج حرب ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣، فيما يلى:

أولاً : إسقاط نظرية الأمن الإسرائيلى، القائم على العدوان والتوسع وإثبات أنه لايمكن أن يكون لأية دولة فى العالم حدود آمنة، يمكن الدفاع عنها، إذا لم تتبع هذه الدولة سلوكاً يهدف إلى السلام ويبتعد عن العنصرية والاعتداء.

ثانياً : إدراك الرأى العام العالمى، لموقف إسرائيل العدوانى، وأطماعها التوسعية، وتفهمه لعدالة القضية العربية وشرعية نضال العرب فى سبيل استخلاص أراضيهم المحتلة.

ثالثاً : ظهور أهمية التنسيق العسكرى بين الجيوش العربية، فقد كان لمشاركة القوات المسلحة للبلدان العربية المختلفة فى المعركة والتنسيق بينها فى الجبهات المختلفة أهمية كبيرة فى إحراز النصر، فقد شاركت فى هذه المعركة قوات، سورية، مصرية، فلسطينية، عراقية، جزائرية، أردنية، كويتية، سعودية، سودانية.

رابعاً : ظهور أهمية البترول كسلاح قوى وفعال فى يد الدول العربية، يمكنها عن طريقه أن تشل حركة أعدائها والمؤيدين لهؤلاء الأعداء، حيث إن حجب البترول عن الدول المساندة لإسرائيل لعب دوراً فى تغيير موقف هذه الدول.

خامساً : تأييد القضية العربية فى المحافل والمؤتمرات الدولية؛ فقد استطاع العرب عن طريق شرح عدالة قضيتهم أن يكسبوا تأييد الدول الأفريقية ودول عدم الإنحياز، وظهر ذلك فى عديد من المؤتمرات، مثل: مؤتمر القمة الأفريقى، ومؤتمر عدم الإنحياز ومؤتمر القمة للبلاد الإسلامية، وقامت الدول الأفريقية، بقطع علاقاتها مع إسرائيل تأييداً للعرب فى نضالهم ضد العدوان الإسرائيلى.

سادساً : إحراز القضية الفلسطينية لكثير من الانتصارات السياسية، واتساع دائرة الحكومات والمؤسسات الدولية والشعبية، التى أظهرت دعمها وتأييدها لنضال الشعب الفلسطينى، والاعتراف بحقوقه الوطنية المشروعة، خاصة حقه فى تقرير مصيره والعودة إلى وطنه.

سابعاً : تغيير هيكل العلاقات الاقتصادية بين الدول الغربية الصناعية المتقدمة وبين الدول المنتجة للنفط، حيث وضح أن الكفاح فى الميدان الاقتصادى، من أجل تحقيق الرخاء والتقدم للشعوب المناضلة، إنما هو ركيزة للكفاح السياسى والاجتماعى لهذه الشعوب.